مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 2 العدد 6، 2022
Vol: 2 / N°: 6 (2022)
ISSN: 2701-9233

Creative Thinking: its Definition, Stages and Factors Affecting its Development

Bayan Kamal Eddine[1]; Samah Hassan Ramadan[2]

[1&2] Saint Joseph University of Beirut. Lebanon
Email 1 : Bayankamal26@gmail.com
Email 2 : samah.ramadan1984@gmail.com

Received	Accepted	Published
15/11/2022	2/12/2022	31/12/2022

DOI: 10.17613/p67f-ny38

Abstract

The concept of creative thinking is one of the confusing concepts that most researchers agreed on being the mentality in which the mind organizes its previous experiences in a new way to find new ideas in order to search for a desired solution to a problem and reach results that were not previously known, and the goal is to develop an old idea that results in A unique and unusual production that can be applied and used in different life situations and circumstances, and is characterized by novelty and acceptance in a particular society due to its ability to meet the needs of this society. It should be noted that creative thinking goes through several sequential stages that an individual goes through to reach the stage of creativity.

This type of thinking is affected by an important set of factors that affect it and consists of factors that help to develop this thinking and others that impede its development and prevent its development, and all these factors belong to the environment surrounding the individual and are related to his personal characteristics.

Keywords: Creativity, Creative Thinking

مجلة مؤشر للدراسات الاستطلاعية
Journal index of exploratory studies
المجلد 2 العدد 6، 2022
Vol: 2 / N°: 6 (2022)
ISSN: 2701-9233

التفكير الإبداعي:
تعريفه، مراحله والعوامل المؤثّرة في تنميته

بيان كمال الدين [1]؛ سماح حسن رمضان [2]

[1و2] جامعة القديس يوسف في بيروت. لبنان

الايميل1: Bayankamal26@gmail.com

الايميل 2: samah.ramadan1984@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/11/15	2022/12/2	2022/12/31

DOI: 10.17613/p67f-ny38

ملخص

يعدّ مفهوم التفكير الإبداعي من المفاهيم المحيّرة التي أجمع معظم الباحثون على كونه العقليّة التي ينظّم بها العقل خبراته السابقة بطريقةٍ جديدةٍ لإيجاد أفكارٍ جديدةٍ في سبيل البحث عن حلٍّ منشود لمسألةٍ ما والتوصّل إلى نتائجَ لم تكن معروفةً مسبقًا، والهدف من ذلك هو تطوير فكرةٍ قديمةٍ ينتج عنها إنتاجٌ متميّزٌ غير مألوفٍ يمكن تطبيقه واستعماله في مواقفَ وظروفَ حياتيّة مختلفةٍ، ويتّصف بالجدّة والقبول في مجتمعٍ معيّنٍ نظرًا لقدرته على تلبية احتياجات هذا المجتمع.

وتجدر الإشارة إلى أنّ التفكير الإبداعي يمرّ بعددٍ من المراحل المتسلسلة التي يمرّ بها الفرد وصولًا إلى مرحلة الإبداع. وهذا النوع من التفكير يتأثّر بمجموعةٍ مهمّةٍ من العوامل التي تؤثّر فيه وتتألّف من عواملَ مساعدةٍ على تنمية هذا التفكير وأخرى تؤدّي إلى إعاقة تنميته وتمنع تطوّره، وهذه العوامل كلّها تنتمي إلى البيئة المحيطة بالفرد وتتعلّق بخصائصه الشخصيّة.

الكلمات المفتاحية: الإبداع، التفكير الإبداعي

مقدّمة

تحتل مسألة التفكير في الحياة بوجهٍ عامّ في علم النفس بوجهٍ خاصّ مكانةً رئيسيّةً لكون مهمّة التفكير تكمن في إيجاد حلولٍ مناسبةٍ للمشكلات النظريّة والعمليّة الملحّة التي يواجهها الإنسان في الطبيعة والمجتمع وتتجدّد باستمرارٍ مما يدفعه للبحث دومًا عن طرق تفكيرٍ وأساليبَ جديدةٍ تمكّنه من تجاوز الصعوبات والعقبات التي تبرز أمامه. ما يتيح له ذلك فرص التقدّم والارتقاء. لذلك، يعدّ التفكير كعمليّةٍ معرفيّةٍ عنصرًا أساسيًّا في البناء العقلي - المعرفي الّذي يمتلكه الإنسان ويتميّز بطابعه الإجتماعيّ الّذي يؤثّر ويتأثّر ببقيّة العمليّات المعرفيةّ الأخرى كالإدراك، والتصوّر، والذاكرة... وبجوانب الشخصيّة العاطفيّة، الانفعالية والاجتماعية.

إذ يمثّل التفكير نوعًا معقدًا من أنواع السلوك البشريّ الّذي يأتي ترتيبه في أعلى مستويات النشاط العقليّ فهو عمليّةٌ معرفيّةٌ تنقسم إلى ثلاثة مستوياتٍ رئيسةٍ هي المستويات الدنيا والمستويات الوسيطة والمستويات العليا، وتشمل هذه الأخيرة التفكير الناقد والتفكير الإبداعي والتفكير التأمّلي واتّخاذ القرار وحلّ المشكلات. ولعلّ التفكير الإبداعي هو إحدى أنواع التفكير التي يجب أن نعمل على تنميتها لدى الأفراد لكونها مدخلًا لمواكبة التطوّر والتقدّم في عصرنا اليوم، كما سنرى في مقالتنا هذه.

1. تعريف التفكير الإبداعي

قبل البدء بتعريف مفهوم التفكير الإبداعي، لا بدّ من تعريف مصطلح التفكير لغويًّا، فهو مصطلحٌ مشتقٌّ من فعل فكّر وفكّر الشخص يعني مارس نشاطه الذهنيّ، والتفكير في أمرٍ يعني أعمل الإنسان فكره في أمرٍ ما ليصلَ إلى نتيجةٍ أو حلٍّ أو قرارٍ حوله. واصطلاحًا، يُعرَّف التفكير بمجمل العمليّات الذهنيّة التي يؤدّيها عقل الإنسان والتي تمكّنه من نمذجة العالم الّذي يعيش فيه والتعامل معه بفعّاليةٍ أكبر لتحقيق أهدافه وغاياته، وتتجلّى هذه العمليّات الذهنيّة بإعمال العقل في مشكلةٍ معيّنةٍ بُغية التوصّل إلى حلٍّ لها.

أمّا التفكير الإبداعي، فيتّم تعريفه في معجم المعاني باللغة العربيّة بكونه مصطلحٍ مشتقٍ لغويًّا من فعل أبدع الشيء أي ابتكره أو اخترعه أو أوجده على غير مثالٍ بمعنى جاء بشيءٍ بديعٍ. أمّا في اللغة الفرنسيّة، فيعرّفه معجم Le Robert بالتفكير الّذي يتمكّن من خلاله الفرد الإتيان بما هو جديدٍ وغير مألوفٍ.

ولا بدّ من أن توجّه هذا النشاط العقليّ المركّب رغبةٌ قويّةٌ في البحث عن حلولٍ لمسائلَ أو مشكلاتٍ مختلفةٍ، ويتميّز هذا النوع من التفكير بالشموليّة والتعقيد لانطوائه على عمليّاتٍ معرفيّةٍ متواصلةٍ تشكّل حالةً ذهنيّةً فريدةً لدى الفرد.

ويعتمد التفكير الإبداعي على مجموعةٍ من السمات العقليّة كالطلاقة والمرونة والأصالة والحساسيّة للمشكلات والإفاضة في التفاصيل وغيرها... ما يجعله مزيجًا من القدرات والاستعدادات والخصائص الشخصيّة التي يمكن تطويرها وتنميتها لتؤدّي إلى نتاجاتٍ جديدةٍ لا مثيل لها. فهو يتضمّن من الناحية الإجرائيّة العمليّات العقليّة التي يكون أساسها المعرفة ومهارات الاتصال وحلّ المشكلات.

وتجدر الإشارة إلى أنّ التفكير الإبداعي هو ظاهرةٌ إنسانيّةٌ طبيعيّةٌ موجودةٌ لدى جميع الأطفال عند الولادة بدرجاتٍ متفاوتةٍ ولا تقتصر فقط على ذوي الموهبة، بل تتجلّى بامتلاك الفرد مجموعةٍ من القدرات تساعده على إدراك العلاقات بين الأشياء وابتكار أساليبَ جديدةٍ تتجسّد في التوصّل إلى أفكارٍ أو أعمالٍ لا مثيلَ لها في مجالٍ من المجالات وتظهر من خلال قدرته على الاختراع والتصميم والتخطيط في سبيل إنتاج ما هو غير مألوفٍ.

كما نجد كمًّا مهمًّا من الدراسات التي تعرّف التفكير الإبداعي كنمطٍ من أنماط التفكير التي تظهر لدى الفرد بشكلٍ تلقائيّ وبطريقةٍ ذاتيّةٍ باستعمال المعرفة السابقة وتقويم مدى صلاحيّتها لحلّ مواقفَ جديدةٍ من خلال استنباط علاقاتٍ فيما بينها تسهم في مساعدته على التفكير والعمل بطريقةٍ لا سابق لها في سبيل الوصول إلى ناتجٍ جديدٍ أصيلٍ غير معروفٍ مسبقًا نابعٍ من التفاعل بين الفرد وما

يكتسبه من خبراتٍ. وهذا يتطلّب من الفرد جهدًا في العمل أو الإنجاز بُغية التوصّل إلى حلولٍ منطقيّةٍ غير مألوفةٍ يمكن تحقيقها في الواقع.

بعد التطرّق إلى الدراسات التي تناولت تعريف التفكير الإبداعي، قد يتجلّى اختلافًا بسيطًا في تعريف هذا التفكير ولكنّ ذلك لا ينفي إمكانيّة استخلاص أنّ التفكير الإبداعي هو النشاط العقليّ أو العمليّة التي ينظّم بها العقل خبراته السابقة بطريقةٍ جديدةٍ من خلال استنباط علاقاتٍ بينها لإيجاد أفكارٍ أصيلةٍ وغير مألوفةٍ في سبيل حلّ مشكلاتٍ أو مواقفَ جديدةٍ.

وفي ضوء ذلك نتساءل:

- ما هو تعريف التفكير الإبداعي؟
- ما هي مراحل التفكير الإبداعي؟
- ما هي العوامل المؤثّرة في تنمية التفكير الإبداعي؟

لا سيمّا وأنّه بعد الاطلاع على الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، لاحظنا وجود الكثير من المعلومات التي تناولت هذا المفهوم وأنواعه من دون الإشارة إلى العوامل المؤثّرة فيه، ما دفعنا إلى البحث في مقالنا هذا حول مفهوم التفكير الإبداعي ومراحله، والعوامل المؤثّرة في تنمية هذا النوع من التفكير.

2. مراحل التفكير الإبداعي

نلاحظ في القسم السابق من هذا العمل أنّ مجمل الدراسات قد اتّفق على اعتبار التفكير الإبداعي عمليّةٍ عقليّةٍ تتألّف من أربع مراحلَ متسلسلةٍ ترتبط كلٍّ منها بالمرحلة التي تسبقها وتليها، وتتجلّى في اكتشاف علاقاتٍ جديدةٍ قائمةٍ بين أجزاء الخبرة التي يمتلكها الفرد عند مواجهته مسألةٍ معقّدةٍ أو مشكلةٍ تتطلّب مجموعةً من العمليّات الذهنيّة التي يمرّ بها العقل وتتبلور في مراحلَ متباينةٍ تتولّد خلالها فكرة الحلّ.

وسوف نذكر هذه المراحل بُغية تبيان أهميّتها في مساعدة الفرد على الوصول إلى النتاج الإبداعي الأخير الّذي يمكّنه من التخلّص من القلق والتوتّر اللّذين تسببهما المسألة أو المشكلة من خلال تبيان ما يحدث لديه في كلّ مرحلةٍ من المراحل التالية:

2.1- مرحلة الإعداد (La préparation)

تتضمّن هذه المرحلة دراسة الفرد للمشكلة والاطلاع على جميع جوانبها الأساسيّة والتأمّل في مشاكلَ مشابهةٍ وطرق حلولها المناسبة، ما يوفّر له فرصة الحصول على معلوماتٍ ومهاراتٍ وخبراتٍ تُمكّنه من معالجة المسألة من زواياها المختلفة. ومن الملاحظ هنا أنّ هذه المرحلة قد تُعتبر مرحلةً أوليّةً وضروريّةً نظرًا لدورها في تهيئة الفرد للوصول إلى المستوى الأوّل من مستويات التفكير الإبداعي وهو التفكير التعبيريّ.

2.2- مرحلة الكمون والإختبار أو الإحتضان (L'incubation)

ينصبَّ تفكير الفرد في هذه المرحلة على جميع أركان المشكلة أو المسألة ن بعد أن يتحرّر العقل من الكثير من الأفكار التي لا تمتّ إلى المسألة بصلةٍ، ويكون الخيال في هذه المرحلة نشطًا ما يسمح له بإعادة قراءة المسألة وتخيّل العلاقات القائمة بين معطياتها واستيعاب كلّ المعلومات الواردة فيها والخبرات المكتسبة الملائمة ووصفها وتمثيلها عقليًا.

ويكون النشاط العقليّ في هذه المرحلة في أوّجه فتنهمر الأفكار خلالها في عقل المفكّر الّذي يكون منغمسًا في أعمالٍ روتينيّةٍ بسيطةٍ تفيد في عمليّة البحث الصارم عن الحلّ. ويمكن لهذه المرحلة أن تستمرَّ لفترةٍ طويلةٍ كأيّامٍ أو شهورٍ أو حتّى سنواتٍ وقد لا تتعدّى أكثر من دقائقَ فقط، حيث يظهر الحلّ فجأةً في كثيرٍ من الأحيان. ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة التفكير في المشكلة لكونها تتضمّن عمليّات التفكير التي يقوم بها الفرد للوصول إلى حلٍّ لها.

2.3- مرحلة الإلهام أو الإشراق (L'inspiration ou l'illumination)

تُعتبر هذه المرحلة مرحلة إشراقٍ نفسيٍّ ذهنيٍّ يتجلّى كنتيجة جهدٍ فكريٍّ لا شعوريٍّ يهبط على الفرد من دون مقدّماتٍ. وهي تحتوي على خطوة انبثاق شرارة الإبداع التي تخرج منها الفكرة الجديدة حيث يأتي الإلهام أي فكرة الحلّ على شكل فكرةٍ فجائيّةٍ تهبط على ذهن الفرد فيمسكَ بها ويسجّلَها. وتسود هذه المرحلة حالةٌ نفسيّةٌ تتصّف بالتوتّر والقلق والحيرة وعدم الراحة.

ونتبيّن هنا أنّ هذه المرحلة قد تمثّل الوجه الأساسيّ للتفكير الإبداعي الّذي يتجلّى بالعمل التحضيريّ الداخليّ حتّى الوصول إلى ذروة العمليّة الإبداعيّة أي لحظة إدراك الحلّ.

2.4- مرحلة التحقّق والمراجعة (La vérification)

تمثّل هذه المرحلة آخر مراحل التفكير الإبداعي وتتضمّن المادّة الخامّ وهي الحلّ الناتج عن البحث والاستبصار الّذي يكون في طوره النهائيّ، حيث يتوجّب على الفرد أن يتأكّدَ من صلاحيّة الحلّ من خلال الاختبار التجريبيّ للفكرة المبتكرة أي تنفيذها عمليًّا للتحقّق من مدى صحّتها أو عدمه وإمكانيّة تحقيقها. وتخضع هذه المرحلة للقوانين والأسس والمبادئ المنطقيّة التي يتمّ فيها اختبار الحلول وتقويم الأفكار المنتجة وإعادة فحص محتواها والنظر في مدى تماشيها مع قوانين المنطق العقلي ومدى صلاحيّتها للعمل أو التنفيذ.

ويُعبَّر عن هذه المرحلة بمرحلة اختبار الفكرة الملهمة وتتميّز بنشاطٍ عقليٍّ يتّسم بصفاء الذهن والهدوء النسبيّ وزيادة وضوح العلاقات بين الحقائق المعروفة أصلًا. ولا بدّ من التأكيد على أهميّة هذه المرحلة في هذا النوع من التفكير لكونها تمثّل عمليّة تقويم الفرد لأفكاره التي تُعدّ من العمليّات الأساسيّة في تطوير تفكيره وتنمية مهاراته.

ونلاحظ هنا أنّ هذه المراحل تنطوي على مجموعة العمليّات العقليّة التي يتألّف منها التفكير الإبداعي والتي سبق وأشرنا إليها سابقًا، مع التأكيد على أنّ المرحلة الأولى والثانية قد لا تحدثان بطريقةٍ منظّمةٍ ومتسلسلةٍ، بل إنّهما تتداخلان وتتمازجان في أوقاتٍ كثيرةٍ أثناء عمليّة التفكير الإبداعي في حين أنّ المرحلتين الأخيرتين وهما مرحلة الإلهام ومرحلة التحقّق تتداخلان وتلتحمان معًا من دون أيّ فاصلٍ بينهما.

بعد ذكر مراحل التفكير الإبداعي، سننتقل إلى ذكر العوامل المؤثّرة في التفكير الإبداعي بُغية إلقاء الدور على أهميّتها في تنمية هذا التفكير لدى الفرد، كما سنرى فيما يلي.

3. العوامل المؤثّرة في تنمية التفكير الإبداعي

على الرغم من أنّ قدرات التفكير الإبداعي موجودةً بشكلٍ متوازٍ لدى جميع الأطفال الأصحّاء من الناحية العقليّة والنفسيّة في مراحل الطفولة المبكرة ويمكن إخضاعها للتعلّم والتدريب، فإنّ مستوى الإبداع يختلف باختلاف الأفراد والمكان والزمان والإطار الثقافيّ الّذي يعيش فيه. فالفرد المبدع هو حصيلةُ تآلفٍ بين الخصائص العقليّة والاستعدادات الانفعالية والمناخ المناسب، وبالتالي فإنّ العلاقة بين التفكير الإبداعي والبيئة التي يعيش فيها الإنسان تتأثّر إلى حدٍّ كبيرٍ بالكثير من العوامل التي ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالمحيط

الاجتماعي الّذي يعيش فيه الفرد وبعادات المجتمع الّذي ينتمي إليه وتقاليده وقيمه. فبعض المجتمعات تشجّع الاستقلالية والاعتماد على الذات وتبثّ روح التطوّر والتقدّم لدى الأفراد في حين تؤكّد مجتمعاتٍ أخرى على التبعيّة وتعمد إلى كبت القدرات الإنسانيّة التي يسعى من خلالها الفرد إلى التقدّم والتطوّر.

لذا وانطلاقًا من كون الإبداع ظاهرةً إنسانيّةً معقّدةً تتأثّر بعواملَ كثيرةٍ ترتبط بالفرد من حيث قدراته واتّجاهاته ودوافعه وميوله وحصيلته المعرفيّة، وتؤثّر فيها الظروف المحيطة به كالتنشئة الاجتماعية والمناخ الثقافي وغيرها... يوجد الكثير من العوامل التي يمكن أن تساعد على تنمية التفكير الإبداعي أو تعيقه سوف نعمد إلى ذكرها من خلال تفصيلها وشرحها كما يلي:

3.1- العوامل المساعدة على تنمية التفكير الإبداعي

لقد بيّنت الكثير من الدراسات التي تطرّقنا إليها وجود عواملٍ تؤثّر بشكلٍ مباشرٍ على تنمية التفكير الإبداعي، سنذكرها من خلال تقسيمها إلى عواملَ ذاتيّةٍ وعواملَ نفسيّةٍ تنبع من الفرد ذاته، وعواملَ بيئيّةٍ تنبع من الواقع الّذي يعيش وأخرى تعليميّةٍ، علّنا نستطيع تبيان مدى انعكاسها على قدرته على التفكير الإبداعي.

3.1.1- العوامل الذاتيّة

نلاحظ وجود مجموعةٍ من العوامل الذاتيّة لدى الفرد تؤثر بشكلٍ إيجابيٍّ على قدرته على التفكير الإبداعي يمكن تقسيمها إلى:

أ. الذكاء

لقد تضاربت الآراء حول العلاقة بين الذكاء والتفكير الإبداعي حيث رأى بعض الباحثين وعلى رأسهم جيلفورد وأقرانه أنّ التفكير الإبداعي قدرةٌ مستقلّةٌ نسبيًّا عن الذكاء الّذي لا يمثّل إلّا جزءًا من النشاط العقلي ويختلف اختلافًا كاملًا عن القدرة على الإبداع، وأنّ اختبارات الذكاء التقليديّة تقيس قدرًا يسيرًا فقط من القدرات العقليّة حيث تتفاوت درجة الارتباط بين مقاييس الذكاء ومقاييس التفكير الإبداعي، فقد يكون الذكاء شرطًا لازمًا للإبداع ولكنّه غير كافٍ، إذ أنّ حاصل الذكاء يحدّد في بعض الحالات حدًّا معيّنًا من القدرات الإبداعيّة الكامنة ولكنّه لا يُعتبر مؤشّرًا ثابتًا على امتلاك الفرد القدرة على التفكير الإبداعي.

فامتلاك الفرد لدرجةٍ معيّنةٍ من الذكاء هو أمرٌ ضروريٌّ ومهمٌّ لاكتسابه القدرة على التفكير الإبداعي الّذي يشترط وجود حدٍّ أدنى من الذكاء لا يقع دون العادي ويختلف من مجالٍ إلى آخرٍ. فعلى الرغم من كون مفهوم الذكاء كاستعدادٍ عامٍّ للإبداع قياسًا باختبارات الذكاء التقليديّة، إلّا أنّه يلعب دورًا مهمًّا في الإبداع، ولكنّه لا يشكّل مقياسًا مقبولًا له ولا يؤدّي بشكلٍ أكيدٍ إلى تحقيق الفرد نتائجَ إبداعيّةٍ عاليةٍ. فظهور القدرات الإبداعيّة لدى الفرد على حدّ قوله يتطلّب وجودَ حدٍّ أدنى من الذكاء لدى الفرد يتراوح ما بين 110 و120 درجة ويعدّ ضروريًّا لظهور بعض القدرات الإبداعيّة.

ب. مرونة التفكير

تُعتبر مرونة التفكير عاملًا من العوامل الذاتيّة التي تؤثّر بشكلٍ مباشرٍ على قدرة الفرد على التفكير الإبداعي، وهي تعني إعادة بناء المعلومات وتغيير شكل صياغتها وفقًا لمتطلّبات الحالات المستجّدة. وتُعدّ المرونة من السمات الضروريّة التي تساعد الفرد على حلّ المشكلات بعيدًا عن الطرق التقليديّة النمطيّة من خلال الإتيان بما هو جديدٍ والاختيار بين بدائل الحلول عبر مثابرته على البحث عن

حلولٍ إبداعيّةٍ معتمدًا على تنوّع الرؤية لمعطيات المسألة المطروحة. وإذا ما انطلقنا من كون المرونة هي إحدى مهارات التفكير الإبداعي كما رأينا سابقًا فمن المنطقيّ أن يُعدّ توافرها عاملًا من العوامل المساهم في تنمية هذا التفكير.

ج. الوراثة

يُعتبر العامل الوراثيّ من العوامل الذاتيّة التي تؤثّر بشكلٍ كبيرٍ على طريقة تفكير الفرد حيث تحدِّد المعطيات الوراثيّة التي يمتلكها مدى قدرته على التفكير الإبداعي. فعلى الرغم من أنّ غالبيّة المبدعين لم يولدوا من أبٍ أو أمٍ يتميّزان بدرجةٍ عاليةٍ من التفكير الإبداعي إلّا أنّ بعض الصفات الوراثيّة كحالة الذكاء مثلًا تلعب دورًا كبيرًا في هذا النوع من التفكير. وهذا قد يبرّر ما أشرنا إليه سابقًا وهو أنّ الإبداع يظهر في البداية لدى جميع الأطفال بنسبٍ متساويةٍ نتيجة خصائصَ ذاتيّةٍ وراثيّةٍ يتمّ تطويرها لدى البعض منهم لتصلَ إلى حدٍّ معيّنٍ من التفكير الإبداعي.

3.1.2- العوامل النفسيّة

وبالإضافة إلى العوامل الذاتيّة التي سبق وذكرناها، توجد مجموعةٌ من العوامل النفسيّة تساعد أيضًا على تنمية قدرة الفرد على التفكير الإبداعي، نذكر منها:

أ. شعور الفرد بالأمان النفسيّ

يُعدّ شعور الفرد بالأمان من العوامل النفسيّة الأساسيّة التي تؤثّر بشكلٍ كبيرٍ على قدرته على التفكير الإبداعي، إذ تلعب البيئة التي يعيش فيها الفرد دورًا مهمًّا في توفير أمانه النفسيّ من خلال تشجيعه على حريّة التعبير وإتاحة فرص التجريب والخيال له في سبيل مساعدته على التخلّص من عوامل الإحباط والخوف من الوقوع في الخطأ عند محاولة حلّ أي مشكلةٍ أو معالجة أيّ مسألةٍ قد تواجهه، فشعور الفرد بالأمان يزيد من فرص الإبداع لديه. ما يفسّر مسألة امتلاك بعض الأفراد لمجموعةٍ من القدرات الإبداعيّة قد لا تتوافر لدى آخرين نتيجة الظروف التي تحيط بهم.

ب. الانفتاح على الخبرة

يعني الانفتاح على الخبرة وصول الفرد إلى مرحلةٍ متقدمةٍ من الوعي والمعرفة والقدرة على استعمال أطر تفكيرٍ مختلفةٍ وغير مقيّدةٍ عند التعامل مع المسائل المختلفة. ويُعدّ هذا العامل من العوامل الأساسيّة التي تعمل على تنمية التفكير الإبداعي لدى الفرد من خلال وضعه أمام مواقفَ متنوّعةٍ تستدعي ممارسة حريّة الاختيار بين الحلول والبدائل المتاحة، لتتكوّن لديه القدرة على رؤية الاشياء في مجملها وإدراك العلاقات بين المعلومات بجميع عناصرها ما يجعل منه فردًا حاسمًا في قراراته ومبدعًا في خياراته. وقد تتجلّى لنا هنا العلاقة الارتباطية الوثيقة بين شعور الفرد بالحريّة وامتلاكه القدرة على الطلاقة في الأفكار التي تشكّل ذروة الإبداع الناتج عن خيالٍ غير مقيّدٍ وعقلٍ منفتح الآفاق.

ج. التقويم الذاتي

يعدّ تقويم الفرد لذاته عاملًا من العوامل النفسيّة التي تسهم في تنمية تفكيره الإبداعي لا سيّما وأنّ الفرد المبدع يمتاز بحبّ الاطلاع فهو لا ينفكّ يطرح الأسئلة من دون توقّفٍ ويستفسر بشكلٍ دائمٍ حول ما يقوم به في سبيل البحث عن الإجابات المناسبة

للمسائل المختلفة. ما يفسح المجال أمامه لتقويم خبراته وحسن استعمالها في المواقف المختلفة ويؤدّي بالتالي إلى إدراكه أهميّة ذاته ومعرفة قيمتها وتطوير تفكيره الأصيل.

د. الدافعيّة

تُعدّ الدافعيّة من العوامل النفسيّة المهمّة والضروريّة التي تنبع من داخل الفرد من خلال هدفٍ مرسومٍ يظهر في الرغبة بالبحث والشعور بالسعادة في اكتشاف الوقائع والوصول إلى أفكارٍ جديدةٍ غير مألوفةٍ ما يسهم في تنمية تفكيره الإبداعي. فالشخص المبدع يمتاز بدافعيّةٍ قويّةٍ وطاقةٍ عاليةٍ من المثابرة في العمل ينعكسان على جهديه الجسميّ والعقليّ ويتجلّيان بالرغبة القوّية في الإنجاز بُغية النجاح في اكتساب المعرفة بأشكالها المتنوّعة وحسن توظيفها في المواقف المناسبة. ويتطلّب ذلك توفير الظروف المناسبة لتحفيز الفرد على العمل وبذل الجهد حتّى الوصول إلى تطوير تفكيره الإبداعي.

3.1.3- العوامل البيئيّة

تنقسم البيئة التي ينتمي إليها الفرد إلى ثلاثة مصادرَ أساسيّةٍ يكملّ كلّ واحدٍ منها الآخر وهي الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي، وهي تلعب دورًا كبيرًا في تنمية أنماط تفكيره وتطوير قدراته واستعداداته. فالبيئة الغنيّة بالمؤثّرات والوسائلَ تعزّز أساليب تفكيره وتُعدّ مصدرًا أساسيًّا لتربية الفرد، كما سنرى:

أ. الأسرة

تلعب الأسرة دورًا مهمًّا في تنمية التفكير الإبداعيّ لدى الفرد من خلال الاستماع لآراء أبنائها وتشجيعهم على التعبير بحريّةٍ عن أفكارهم ما يشكّل عاملًا مساعدًا على توليد حبّ الاستطلاع لديهم وتطوير قدرتهم على القيام بالأعمال الصعبة وغير المألوفة كحلّ المسائل المختلفة التي يتعرّضون لها بشكلٍ ذاتيّ. هذا فضلًا عن أنّ مستوى الأسرة الثقافي يلعب دورًا مهمًّا في ذلك، لاسيّما وأنّ الأسرة التي تتمتّع بوعيٍ ثقافيٍّ وبمستوًى علميّ جيّدٍ تزيد من فرص أبنائها للوصول إلى النتاجات الإبداعيّة عبر إثارة حماسهم نحو البحث والإنجاز المستقّل، فكلّ فعلٍ يصدر من الطفل بطريقةٍ استكشافيّةٍ ومستقلّةٍ ثمّ يُعاد بناؤه من قبل أسرته بناءًا جديدًا يعدّ فعلًا إبداعيًّا.

إنّ الإبداع ينمو في الأسر المثقّفة التي تهتمّ برعاية شؤون أبنائها وتحترمهم فتكون معتدلةً في ضبطهم ما يوفّر لهم قدرًا معقولًا من الاستقلالية يشجّعهم على البحث والابتكار. كما أنّ اعتماد أسلوبٍ تربويّ معتدلٍ تجاه الأبناء كعدم إكراههم على فعل ما لا يحبّونه وترك لهم حريّة اختيار الأنشطة التي يفضّلونها من خلال توفير الظروف المناسبة لتطوّر اهتماماتهم واستعداداتهم في المجالات المختلفة يطوّر شخصيّتهم ويساعد على تنمية التفكير الإبداعي لديهم. هذا بالإضافة إلى مستوى الأسرة الاقتصادي الّذي ينعكس على مدى قدرتها على توفير الظروف الماديّة والمعنويّة اللّازمة لنموّ هذا التفكير من خلال حالة الاستقرار النفسيّ التي تتمتّع بها الأسر الميسورة ماديًّا والتي لها تأثيرٌ كبيرٌ على تطوير قدرات الأبناء الإبداعيّة.

وانطلاقًا ممّا أنّ الهدف الرئيسيّ للتربية هو تكوين أفرادٍ قادرين على فعل أشياءٍ جديدةٍ لا تكرار ما فعلته الأجيال المنصرمة في سبيل تكوين أفرادٍ يتميّزون بالإبداع والابتكار، يمكننا الجزم أنّ الأهل الأقلّ ميلًا للتسلّط والّذين يحثّون أبناءهم على اتّخاذ قراراتهم المناسبة ومعالجة مشاكلهم بأنفسهم يساعدون على تنمية تفكير أبنائهم الإبداعي عبر إتاحة الفرص لهم لاكتشاف ما هو جديد باستقلاليّةٍ وحريّةٍ في سبيل توليد قدرتهم على المبادرة وتأكيد ذاتهم من خلال تكليفهم بمهمّاتٍ غير روتينيّةٍ تتبعد كلّ البعد عن تكرار ما قام به أباءهم وأجدادهم انطلاقًا من ثقتهم التامّة بقدرتهم على القيام بأفعالٍ مستقلّةٍ وصحيحةٍ.

ب. المدرسة

إذا ما انطلقنا ممّا أكّده بياجيه بأنّ تعليم الطفل يقتصر على توجيهه عبر وضعه على طريق الاكتشاف ليكتسبَ بنفسه مفاهيمَ جديدةً ويرتفع إلى مستوياتٍ إدراكيّةٍ عاليةٍ، ومن كون الفرد قادرًا على توظيف ما ورثه أو ما اكتسبه من السابقين واستثماره والإضافة عليه في سبيل تحقيق إبداعٍ على المستوى الشخصيّ، يمكن اعتبار المدرسة من العوامل البيئيّة الأساسيّة التي تتيح أمام الأفراد فرصة التعلّم الذاتيّ بُغية التوصّل إلى فهم الحقائق وتركيز المبادئ العلميّة واكتسابها من خلال توفير جوٍّ يسوده حريّة التفكير وتشجيع الأعمال الإبداعيّة على مراحلَ تعليميّةٍ متتاليةٍ ومتسلسلةٍ بدءًا بمرحلة رياض الأطفال التي تستوجب إحاطة الطفل بمثيراتٍ من الألعاب والأشياء تستثيره للتجريب والاختبار وتساعد على نموّ إدراكه وتطوير عمليّاته الفكريّة الإبداعية حتّى مراحل التعليم الأساسيّة والمتوسّطة والثانويّة.

فبعد أن تبدّل دور المدرسة من التركيز على القراءة والكتابة والحساب وحفظ المعلومات وتعويد الطفل على الطاعة والنظام باعتماد أساليبَ تعليمٍ تقليديّةٍ إلى استعمال أساليبَ قائمةٍ على الأنشطة كأسلوبٍ تعليميٍّ يشجّع على الاكتشاف والاستقصاء، أصبحت إحدى وظائف المدرسة الأساسيّة تنمية قدرات التلميذ المختلفة على نحوٍ يستعمل فيه عقله ليكونَ مبدعًا خلّاقًا في ثقافته وبيئته من خلال تحريره من الخوف والقلق من الوقوع في الخطأ وحثّه على إبداء رأيه والقيام بالمبادرات الفرديّة.

ونتبيّن أيضًا دور المدرسة في تطوير قدرة التلاميذ على التفكير الإبداعي من خلال توفير مواقفَ خاصّةٍ تقود إلى تطوير روح البحث والرغبة في الإنتاج لديهم من خلال القيام بأنشطةٍ فعّالةٍ تدفعهم إلى التناقش والتعاون مع أقرانهم بُغية التوصّل إلى أفكارٍ جديدةٍ. لتتبدّل إحدى وظائف المدرسة الأساسيّة من مساعدة المتعلّم في الوصول إلى مرحلةٍ تعليميّةٍ متقدّمةٍ إلى العمل على تنمية أنماط التفكير لديه، وقد يكون التفكير الإبداعي إحداها، كمطلبٍ أساسيٍّ تفرضه عواملَ كثيرةٍ من أهمّها التحديّات العالميّة التي سيواجهها التلميذ كفردٍ فعّالٍ في مجتمعه. ولكن قد يطرح هنا السؤال نفسه: هل تبدّل دور المدرسة ووظائفها فعليًّا على أرض الواقع كما ذكرنا في الأعلى أمّ بقي هذا الكلام أهدافًا مرسومةً تنتظر من يعمل على تطبيقها.

ج. المحيط الإجتماعي

من المهمّ أن يتمتّع المحيط الاجتماعي الّذي يعيش فيه الفرد بدرجةٍ عاليةٍ من الثراء الثقافيّ الّذي يشجّع على فتح آفاق التعلّم لديه بما يسهم في تحقيق نموّه العقليّ من خلال توفير حريّة تجريب أساليبَ جديدةٍ وتشجيعه على تحقيق النجاح في المجالات المناسبة لقدراته واستعداداته عبْرَ إدراك الأخطاء واستعمالها كمؤثّراتٍ تدعم عمليّة التفكير.

فالمحيط الّذي يدعم التنوّع والاختلاف ويؤكّد أهميّة الفروق بين الأفراد في أساليب التفكير ووجهات النظر ويحثّهم على التعاون والمشاركة فيما بينهم، إنّما يهيّئ مناخًا مفتوحًا وآمنًا للتعلّم واكتشاف الحقائق من خلال دعم الفرد في تحديد أهدافه واتّخاذ قراراته في سبيل حلّ المسائل المختلفة التي يواجه. ونلاحظ هنا أنّ المحيط الّذي يسهم في توليد ثقة الفرد بنفسه وبقدرته ليس فقط على الإنجاز، بل على الإبداع أيضًا إنّما هو محيطٌ يهدف إلى تنمية مهارات التفكير الإبداعي لديه.

3.1.4- العوامل التعليميّة

تطال العوامل التعليميّة كلّ ما يمتّ بالعمليّة التعليميّة بصلةٍ ويساعد بشكلٍ مباشرٍ على تنمية تفكير التلميذ الإبداعي ويلعب دورًا مهمًّا في تطوير قدراته الإبداعيّة، ومن بين هذه العوامل نذكر:

أ. المعلّم

لا يمكن إغفال دور المعلّم كعاملٍ جوهريٍّ في تنمية التفكير الإبداعي لدى التلميذ من خلال توفير مناخٍ إبداعيٍّ في بيئةٍ تعليميّةٍ صفيّةٍ تشجّع على الاكتشاف وتتحدّى قدراته ليصبحَ أكثر قدرةً على تقديم الحلول الإبداعيّة للمشكلات والمسائل المختلفة التي تواجهه من خلال القيام بالأنشطة التعليميّة المليئة بالمثيرات الغنيّة والفعّالة التي يعبّر فيها عن آرائه بحريّةٍ ما يساعده على تنمية قدراته وحثّه على الاكتشاف والتعلّم الذاتيّ وجعله أكثر حساسيّةً تجاه المشكلات التي قد تواجهه في أيّ مجالٍ من المجالات. ويقع بالتالي على عاتق المعلّم مهمّة توفير مصادرَ تعلّمٍ ومجالاتٍ لتنفيذ أفكارٍ تسهم في توظيف طاقاته الذهنيّة وحواسه المختلفة بما يؤدّي إلى خلق جوٍّ مثيرٍ يساعد في الكشف عن مظاهرَ الإبداع المختلفة لديه.

وهذا يتطلّب من المعلّم أيضًا درايةً تامّةً بمكوّنات التفكير الإبداعي واستراتيجيّات تعليمه حتّى يتمكّن من توجيه تفكير تلاميذه الإبداعي داخل قاعة الصفّ من خلال تبسيط المفاهيم المجرّدة وحذف التفاصيل غير الضروريّة باستعمال طرق تعليمٍ ووسائل تعليميّةٍ حديثةٍ تساعد التلميذ على التمتّع بمرونة التفكير التي تظهر بالبحث عن علاقاتٍ جديدةٍ بين الأفكار وحلولٍ مناسبةٍ ضمن مجموعاتٍ صغيرةٍ بهدف تنشيط ذاكرته وإتاحة الفرصة له لاستغلال المعرفة بصورةٍ مبدعةٍ في ظلّ جوٍّ من القبول والتعاون ما يعطي قيمةً كبيرةً لأفكاره الجديدة ويزوّده بخبراتٍ ومهاراتٍ عليا تسهم في تنمية هذا النوع من التفكير.

كما أنّ من واجب المعلّم أن يدركَ فنّ التعامل مع الأطفال في مراحل الطفولة الأولى وأن يتمتّع بمهاراتٍ اتّصاليّةٍ علميّةٍ عاليةٍ تمكّنه من التعرف على قدراتهم الإبداعيّة من خلال ملاحظة أعمالهم من دون التدخّل إلّا عند الحاجة لتوضيح الأفكار وإعادة توجيه سير المناقشة وتسجيل تقاريرَ عن تفاعلهم مع المواقف التعليميّة، ما يدفعهم إلى التعبير بحريّةٍ عن أفكارهم ويجعلهم قادرين على تقديم الحلول والبدائلَ مباشرةً.

ونستنتج هنا أهميّة أنّ يكون المعلّم ماهرًا في تحديد الأهداف التعليميّة التي تسهم في تطوير قدرات تلاميذه الإبداعيّة وفي اختيار الأنماط التعليميّة المناسبة لتنمية تفكيرهم الإبداعي واستعماله لحلّ مسألةٍ أو برهنة قانونٍ داخل الصفّ كمقدّمةٍ لحلّ مسائلَ مختلفةٍ قد تواجههم في حياتهم اليوميّة.

ب. التقويم

من الضروري أنّ يعتمد المعلّم عند تقويم تلامذته نظام تقويمٍ يختلف بشكلٍ كاملٍ عن طرق التقويم التقليديّة التي تهدف إلى قياس المستويات الدنيا من التفكير والتركيز بدل ذلك على طرح أسئلةٍ تتطلّب منهم تقديم حلولٍ متنوّعةٍ يقوّم من خلالها المعلّم مدى اكتسابهم مهاراتَ تفكيرٍ عليا كالتحليل والتركيب وغيرها... تساعد في تنمية تفكيرهم الإبداعي. لا سيّما وأنّ اعتماد أساليبَ تقويميّةٍ حديثةٍ تراعي الأساليب التدريسيّة الحديثة يُعدّ أكثرَ فعّاليةٍ في الكشف عن استعدادات التلاميذ وميولهم ومواهبهم من الأساليب المستعملة سابقًا والتي تعتمد على قياس مقدار ما اكتسب التلميذ من مهارةٍ في تطبيق قاعدةٍ أو استذكار مفهومٍ معيّنٍ.

ج. طرائق التدريس وأساليبه

عُرفت طرائق التدريس المتّبعة في التعليم سابقًا بإهمال الفروق الفرديّة بين التلاميذ والتركيز على أساليب التدريس التي تتجاهل المبدعين منهم وتقيّد حريّة تعبيرهم ما انعكس بشكلٍ سلبيٍّ على دافعيّتهم نحو الإنجاز وجعل البيئة الصفيّة بيئةً يسودها القلق والتوتّر، لتبرزَ الحاجة الملّحة إلى اعتماد أساليبَ تدريسيّةٍ تعلّم التلاميذ كيفيّة اكتشاف حقائق الأمور وإدراك العلاقات بين المعلومات وتؤدّي إلى إبراز قدراتهم الإبداعيّة بدلًا من الاهتمام بالحفظ والتذكّر والتكرار.

وبدأت الدعوة إلى تطوير طرائق التدريس المعتمدة التي تتماشى وقدرات التلاميذ واستعداداتهم وحاجاتهم وجوانب نموّهم المختلفة، وظهر التعلّم الذاتي كإحدى الأساليب التدريسيّة التي يمرّ خلالها التلميذ في مواقفَ تعليميّةٍ متنوّعةٍ بدافعٍ ذاتيٍّ والتي تهدف إلى تنمية استعداداته وإمكاناته تماشيًا مع ميوله واهتماماته في سبيل تنمية شخصيّته وتكاملها عن طريق اعتماده على نفسه وتفاعله مع المادّة التعليميّة والسير بها وفق قدراته.

ونتساءل هنا كيف يمكن ترجمة ذلك واقعًا إلى أفعالٍ محسوسةٍ داخل غرفة الصفّ لكيلا يبقى ذلك مجرّد كلامٍ يُصاغ إنشائيًّا، هل يكون ذلك بالتركيز على استعمال طرائقَ تدريسيّةٍ تفتح المجال أمام تطوير قدرات التلميذ الإبداعيّة ومنحه فرصة التعبير عن أفكاره بطريقةٍ فريدةٍ أم من خلال تخطيط المواقف التعليميّة وإدارتها وتنظيمها في سبيل تنمية تفكيره في صورةٍ سلوكيّةٍ يمكن ملاحظتها وقياسها واعتماد استراتيجيّاتٍ تدريسيةٍ تراعي خصائص الفرد النفسيّة وتحرّر طاقاته الإبداعيّة.

د. الوسائل التعليميّة

تشكّل الوسائل التعليميّة المعتمدة في العمليّة التعليميّة عاملًا من العوامل المساعدة على تنمية التفكير الإبداعي، فهي تثير اهتمام التلاميذ وتجذب انتباههم نحو التعلّم في سبيل تنمية قدراتهم الذهنيّة. ومن المهمّ أن يستعين المعلّم بأحدث ما توصّلت إليه تكنولوجيا التعليم من تقنيّاتٍ لتعزيز قدرات التلميذ على الإبداع وتوفير المجال لتعزيز أدائه الإبداعي.

وقد أثبتت الكثير من الدراسات كدراسة محمّد المشيقح التي حملت عنوان "أثر استخدام بعض الوسائل التعليميّة على المقدرة على الإبداع الفنّي" أهميّة استعمال الوسائل التعليميّة التكنولوجيّة في سبيل الكشف عن مواهب التلاميذ وتنميتها وإزالة النقاب عن أفكارهم الإبداعيّة مع تقديم الحوافز المناسبة وتوفير الفرص التعليميّة لتطوير قدراتهم الإبداعيّة.

وقد يتجلّى هنا الحاسوب، بعدما عرضنا أهميّة استعماله كوسيلةٍ تعليميّةٍ في الفصل الأوّل من الأطروحة، كأفضل الوسائل الحديثة التي تساعد المعلّم في تحقيق أهدافه نظرًا لدوره المهمّ في جذب انتباه التلاميذ نحو التعلّم.

د. المناهج الدراسيّة

تعدّ المناهج وسيلةً للحوار بين التلميذ والمعلّم الّذي يجب أن ينتقل في محتواها من التشديد على اكتساب الحقائق والمفاهيم إلى التركيز على اعتماد طرق الاستقصاء لاكتشاف العلاقات بين المعلومات واستنتاجها والربط بين الأشياء والمجرّدات بُغية إحداث تفاعلٍ في عقل التلميذ يولّد أفكارًا جديدةً. ولكن ذلك كلّه مشروطٌ بمدى توافق المناهج التي ندرّسها اليوم مع ما نشير إليه، ما قد يلقي الضوء على أهميّة أن يعمدَ معدّو المناهج إلى إخضاع المواد الدراسيّة للنقد من خلال تطبيق مبدأ الاستمرارية في بناء المحتوى بالبدء بالكليّات ثمّ الانتقال إلى الجزئيّات والعمل على تنظيم المواد العلميّة في صورة مشكلاتٍ ومسائلَ توجِد مساحةً كافيةً من الفكر والخيال لدى التلميذ في سبيل تنمية قدرته على ابتكار الحلول المناسبة لهذه المسائل وإيجاد البدائل المتعدّدة لها بما يسهم في تنمية تفكيره الإبداعي.

ومن المفترض أن تلعب المناهج الدراسيّة إذا ما تميّزت بدرجةٍ عاليةٍ من المرونة دورًا كبيرا في تنمية هذا التفكير عبر التخفيف من حدّة الاهتمام بالإنجاز والحفظ والتذكّر والتركيز على الفهم والتطبيق والتحليل والتركيب باستعمال الأنشطة التعليميّة التي تعمل على تطوير قدرات التلاميذ الإبداعيّة من خلال إفساح المجال لتدريبهم على استعمال المهارات العقليّة العليا في ضوء استراتيجيّات التفكير الحديثة واستبدال الطرائق التعليميّة التقليديّة بالطرائق المعزّزة لهذا النوع من التفكير كتبنّي طرقٍ تجريبيّةٍ تحقّق الترابط والتكامل بين الموضوعات الدراسيّة المختلفة وتسهم في توليد روحٍ إبداعيّةٍ في المدرسة.

ويمكننا أن نلاحظ هنا أنّ العوامل البيئيّة والعوامل التعليميّة تلعب دورًا أكبر من العوامل الأخرى في تنمية هذا التفكير، لا سيّما وأنّ الفرد يقضي معظم وقته في البيت والمدرسة ما يجعل للبيئة التي يعيش فيها الفرد وللعمليّة التعليميّة التي يشهدها النصيب الأكبر في تنمية تفكيره الإبداعي.

وعلى الرغم من وجود الكثير من العوامل التي تسهم في تنمية هذا النوع من التفكير غير أنّنا قد نجد بالمقابل الكثير من العوامل التي تعوق التفكير الإبداعي وتقف حاجزًا أمام تنمية قدرات الفرد الإبداعيّة سنتطرّق إليها فيما يلي.

3.2- العوامل التي تعيق تنمية التفكير الإبداعي

تنقسم العوامل التي تعيق تنمية هذا التفكير، والتي يمكن تسميتها بالمعوقات، إلى معوقاتٍ شخصيّةٍ تتعلّق بالشخص ومعوقاتٍ اجتماعية تنبع من الواقع الاجتماعي الّذي يعيشه وأخرى تعليميّةٍ قد يواجهها الفرد أثناء العمليّة التعليميّة، ويظهر أثرها في تراجع نموّ قدرات التفكير الإبداعي لدى الفرد كما يلي.

3.2.1- المعوقات الشخصيّة

تظهر لدى الفرد بعض الخصائص الشخصيّة التي تؤدّي إلى انخفاض قدراته الإبداعيّة وتقلّل من نموّها، نذكر منها:

أ. الإنصياع للأفكار الشائعة أو المجاراة العقليّة

يميل بعض الأفراد إلى تبنّي الآراء الشائعة والتعلّق بها من دون التأكّد من مدى صحّتها أو قيمتها، فيقبلون مباشرةً بالحلول التي تقبلها البيئة الإجتماعيّة المحيطة بهم من دون التأكّد من مدى كفايتها في معالجة المسائل أو المشكلات المختلفة التي قد تعترض طريقهم. ما يؤدّيَ إلى عرقلة تفكيرهم وتقييده وتوجيهه في وجهةٍ ضيّقةٍ محدّدةٍ ويقطع بالتالي الطريق أمام أيّ محاولة تفكيرٍ من شأنها أن تسهم في التوصّل إلى حلولٍ جديدةٍ غير مألوفةٍ كإحدى طرق التفكير الإبداعي. وهذا قد يشكّل عائقًا أمام امتلاك الفرد خاصيّة الطلاقة التي أشرنا إلى دورها في شعور الفرد بالحريّة وأهميّتها في امتلاك الفرد القدرة على الإبداع.

ب. انخفاض مستوى ذكاء الفرد

إنّ قدرة الفرد على التفكير الإبداعي تستلزم امتلاكه لحدٍّ متوسّطٍ من الذكاء وبالمقابل فإنّ أيّ مستوى الذكاء دون ذلك قد يشكّل عائقًا أمام تنمية هذا النوع من التفكير لديه. وقد أكّدت الكثير من الدراسات كدراسة عبد الغني الديدي التي حملت عنوان "قياس وتحسين الذكاء عند الأطفال" أنّ انخفاض مستوى الذكاء يُعتبر من العوامل الشخصيّة التي تعيق ظهور الإبداع لدى الفرد وتنميته، فعدم امتلاك الفرد لمستوًى عالٍ من الذكاء قد يشكلّ عائقًا أساسيًّا أمامه في تكوين المفاهيم ومعالجة الرموز والأشياء بصورةٍ جديدةٍ ما يحول دون تنمية تفكيره الإبداعي.

ج. الجمود في التفكير

يُعتبر التصلّب في التفكير عائقًا أمام تنمية تفكير الفرد الإبداعي فهو ينعكس عجزًا في التعامل مع النظم العقليّة الجديدة يتجلّى في عدم قدرته على تنظيم معتقداتٍ جديدةٍ وحلولٍ مختلفةٍ للمواقف والمسائل المتغيّرة. ما يشكّل حاجزًا يمنعه من تعلّم أيّ جديدٍ والإفادة

من الخبرة في سبيل البحث عن حلولٍ غير مألوفةٍ كإحدى الركائز الأساسيّة للتفكير الإبداعي. وقد يتجلّى لنا هنا التصلّب في التفكير كنقيضٍ للمرونة في التفكير وكعائقٍ من المعوقات الأوليّة التي تمنع ظهور قدرات الفرد الإبداعيّة.

د. ضعف الثقة بالنفس

يُعتبر ضعف ثقة الفرد بنفسه عائقًا أمام رغبته بالمبادرة بسبب الخوف من مواجهة رفض الآخرين أو استهزائهم بالنتائج التي قد يتوصّل إليها، وهذا من شأنه أن يدفع به إلى مجاراة المعايير السائدة واستعمال نتائج الآخرين من دون مناقشتها واتّباع طرق التفكير النمطيّ المقيّد بطرقٍ معتادةٍ من التفكير. فعدم امتلاك الفرد الثقة الكافية بنفسه يُعدّ عاملًا من العوامل الأساسيّة التي تمنعه من التعبير بحريّةٍ عن أفكاره الإبداعيّة الخلّاقة.

3.2.2- المعوقات الإجتماعيّة

توجد بالإضافة إلى العوامل الشخصيّة الكثير من العوامل التي تعمل على خلق مناخٍ اجتماعي لا يسهم في تشجيع الإمكانات الإبداعيّة كالاتجاه الاجتماعي السائد الّذي يؤكّد أنّ أهميّة النجاح تكمن في الحصول على القوّة والمركز الاجتماعي فقط. غير أنّ جزءًا كبيرًا من فشل الأفراد لا يعود فقط إلى عدم امتلاكه الإمكانات الماديّة بقدر ما يعود إلى سياسة المناخ الاجتماعي التي لا تفتح المجال أمام التفكير الإبداعي وتعمل على تقييد خيارات الفرد في العمل والدراسة من دون تشجيعه على البحث في سبيل الابتكار. ما يفتح المجال أمامنا للتساؤل حول حقيقة العوامل الاجتماعية التي تعيق تنمية تفكير الفرد الإبداعي وهي:

أ. التربية الثقافيّة

إنّ التربية والثقافة في بعض المجتمعات تعدّان الفرد للنجاح فقط في المدرسة ولا تعلّمانه كيفيّة معالجة الإحباط والفشل عند مواجهة أي مشكلةٍ قد تعترضه في حياته اليوميّة. فإذا كان الذكاء هو اللفظ الأكثر تداولًا في مجال السلوك المعرفيّ فإنّ نظيره في المجال النفسيّ - الاجتماعي هو قدرة الفرد على تحقيق التوافق الاجتماعي أي قدرته على التكيّف مع المتغيّرات المستجدّة في سبيل البحث عن حلولٍ للمواقف المختلفة التي يتعرّض لها. غير أنّ المناخ السائد في مجتمعاتنا العربيّة الّذي يركّز على التلقين ويعتمد أساليب تقويمٍ قائمةٍ على الحفظ والاسترجاع يشكّل عائقًا أساسيًّا أمام تحقيق توافق الفرد الاجتماعي ويحدّ من قدرته على التفكير بشكلٍ إبداعيّ.

ب. أساليب التنشئة الأسريّة

تشكّل أساليب التنشئة الأسريّة عاملًا من العوامل المهمّة التي قد تسهم في تنمية التفكير الإبداعي أو إعاقته، فحين يعمد الأهل إلى اعتماد أساليبٍ تربويّةٍ مع أبنائهم قائمةٍ على التعنيف الجسديّ أو الإهانة المعنويّة، أو عندما يمنعونهم من التعبير عن رأيهم بحريّةٍ فلا يستمعون لأفكارهم ويقلّلون من قيمتها إنّما هم يعمدون إلى طمس مواهبهم ويحوّلونهم إلى أفرادٍ منعزلين عن محيطهم الاجتماعي غير قادرين على اتّخاذ القرارات المناسبة في المواقف التي يمرّون بها ويسهمون في القضاء على قدرتهم على التفكير الإبداعيّ.

هذا بالإضافة إلى انخفاض مستوى الأسرة العلميّ أو الثقافيّ أو الاجتماعي أو الاقتصادي الّذي يؤثّر بشكلٍ سلبيٍّ على تنمية تفكير الأبناء الإبداعي، لا سيّما وأنّ تدنّي مستوى الأسرة الاقتصادي على سبيل المثال لا الحصر قد يدفع الأهل في بعض الأحيان إلى الانشغال عن أبنائهم بتأمين قوت عيشهم ويمنعهم من تقديم الدعم والتشجيع الضروريّين والاهتمام اللّازم بميولهم ومواهبهم ما يحبط قدراتهم الإبداعيّة.

3.2.3- المعوقات التعليميّة

بعد ذكرنا المعوقات الشخصيّة والاجتماعية التي تعيق تنمية التفكير الإبداعي، سنتطرّق إلى المعوقات التعليميّة وهي:

أ. سياسة التعليم التقليديّة المتّبعة

تتمثّل سياسة التعليم التقليديّة السائدة في أنظمة التعليم باستعمال أساليب تدريسٍ قائمةٍ على التلقين والحفظ، يكون فيها المعلّم مسيطرًا على العمليّة التعليميّة من دون أيّ مُشاركةٍ فعّالةٍ من قبل التلميذ، ما يشكّل عائقًا أمام الأخير للبحث عن الأفكار الجديدة التي من شأنها أن تفيده وتخدم مجتمعه. إذ لا يمكننا إغفال ما نادت به التربية الحديثة من أهميّة اعتماد استراتيجيّات تدريسٍ فعّالةٍ يلعب فيها التلميذ دور المشارك في عمليّة التعلّم بدل من البقاء في صورة المتلقّي، ولكن وعلى الرغم من أهميّة ذلك إلّا أنّنا ما زلنا نواجه إصرار بعض المعلّمين على تحويل التلميذ إلى وعاءٍ يصبّون فيه أفكارهم ومعارفهم.

ب. نظام التقويم

يُعتبر نظام التقويم التقليديّ المتّبع إحدى المعوقات التعليميّة الأساسيّة أمام تنمية التفكير الإبداعي، فهو يتألّف من مجموعةٍ من الاختبارات التقليديّة التي تركّز على قياس مقدار ما حفظ التلميذ من معارفَ وما اكتسب من مهاراتٍ ذهنيّةٍ دنيا كالتطبيق والمعرفة وتغفل أهميّة امتلاكه مهاراتٍ عليا كالتحليل والتركيب والاستنتاج التي تُعتبر من المقوّمات الأساسيّة للتفكير الإبداعي.

ومن الملاحَظ أنّ عددًا مهمًّا من المعلّمين يتمحور اهتمامهم حول تقويم مقدار ما حصّل التلميذ من درجاتٍ في الاختبارات المدرسيّة من دون الاكتراث إلى مدى اكتسابه المهارات التي تسهم في تنمية التفكير الإبداعي وتساعده على إيجاد الحلول المختلفة للكثير من المواقف التي قد تواجهه.

ج. ضعف إعداد المعلّمين

إنّ عدم توفّر معلّمين ذوي كفاءةٍ تؤهّلهم لتنفيذ الأنشطة والبرامج الإبداعيّة يعدّ مشكلةً أساسيّةً تقف عائقًا أمام تنمية تفكير التلميذ الإبداعي. لا سيّما وأنّ الكمّ الهائل من الأعباء الملقاة على عاتق المعلّم تمنعه من التفكير في إعداد برامجَ وأنشطةٍ مشجّعةٍ على الإبداع، لصبّ اهتمامه على إعداد الاختبارات التي تقيس درجات تحصيل التلاميذ من دون التركيز على تنمية مهاراتهم الفكريّة المختلفة. وقد يعود السبب في ذلك إلى عدم إلمام المعلّم باستراتيجيّات التدريس التي تسهم في تنمية قدراته الفكريّة وإلى غياب اعتماد التفكير الإبداعي كأساسٍ في مناهج مؤسّسات إعداد المعلّمين ما يشكّل حاجزًا أمام تطوير قدرات تلاميذهم الإبداعيّة.

وبعد ذكر العوامل المساعدة على تنمية التفكير الإبداعي ومعوقاته، نلاحظ أنّها نابعةٌ في الحقيقة من الواقع الذي يعيش فيه الفرد سواء في المدرسة أم في الأسرة أم في المحيط الاجتماعي باستثناء العوامل الذاتيّة والمعوقات الشخصيّة التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفرد نفسه، وهذا قد يدفعنا إلى التأكيد على أهميّة التخلّص من معوقات تنمية هذا التفكير من خلال البحث في بيئة الفرد عن كلّ ما يشكّل عائقًا أمام تطوير قدراته الإبداعيّة. وتتجلّى لنا أيضًا أهميّة استثمار الوسائل التعليميّة واستراتيجيّات التدريس الحديثة في تطوير قدرات التلميذ الإبداعيّة. ما يدفعنا إلى التساؤل حول أثر استراتيجيّات حلّ المسائل الرياضيّة كإحدى طرق التدريس الحديثة في تنمية التفكير الإبداعي.

خاتمة

بعد الكلام على أهميّة تنمية التفكير الإبداعي كإحدى أنماط التفكير التي تساعد على تقدّم الفرد والمجتمع على حدٍّ سواءٍ، قد يتبيّن لنا دورٌ مهمٌ تلعبه المدرسة في تنمية هذا التفكير باعتبارها الحاضن الأوّل للفرد منذ مراحل الطفولة المبكرة وحتّى دخوله الجامعة، حيث يقع على عاتق المعلّم مهمّة البحث على وسائلَ وطرائق تدريسٍ يمكن توظيفها لتدريس المواد الدراسيّة المختلفة بما يصبّ في تطوير قدرات الفرد الإبداعيّة.

فانطلاقًا ممّا أشرنا إليه حول أهميّة استراتيجيّات حلّ المسائل الرياضيّة ودورها في مساعدة التلميذ والمعلّم في الوقت نفسه على تخطّي الصعوبات التي يواجهها كلٍّ منهما عند تعلّم المسائل الرياضيّة أو تعليمها، توصّلنا إلى أنّ هذه الإستراتيجيّات تسهم في تنمية مهارات التفكير لدى التلميذ كالتفكير الإبداعي الّذي يتطلّب من الفرد امتلاك مجموعةٍ من السمات التي تميّزه عن غيره من الأفراد. ما قد يلقي الضوء على أهميّة اعتماد هذه الإستراتيجيّات عند حلّ المسائل في سبيل تطوير طرق تفكير التلميذ وتوجيهه نحو التفكير بطريقةٍ علميّةٍ منظّمةٍ تساعده على النجاح في مجال المسائلَ الرياضيّة.

وبما أنّنا في عصر التكنولوجيا والمعلومات، قد يكون من المفيد استثمار الوسائل التعليميّة الحديثة وعلى رأسها الحاسوب، كإحدى الوسائل التكنولوجيّة التي تساعد المعلّم على تحقيق أهداف العمليّة التعليميّة، في تدريس التلاميذ هذه الإستراتيجيّات من خلال إعداد برامجَ محوسبةٍ تخدم المعلّم في عمليّة عرض المسألة وشرحها وتبيان الإستراتيجيّة المناسبة للحلّ لما لهذه التقنيّة الحديثة من دورٍ بالغٍ في جذب انتباه التلميذ نحو التعلّم وتشجيعه على اكتساب المهارات الذهنيّة المطلوبة.

وقد تبرز أهميّة الربط بين استراتيجيّات التدريس الفعّالة والوسائل التعليميّة المتطوّرة في خدمة أهداف المعلّم على صعيد الحصص التعليميّة وأهداف المدرسة من ناحية إعداد التلاميذ الأكفاء القادرين على توظيف مهاراتهم الذهنيّة للنجاح في جميع المواد الدراسيّة وفي سبيل تكوين أفرادٍ قادرين على إحراز التقدّم مستقبلًا وتحقيق أهداف المجتمع وتقدّمه والنهوض به.

ليتجلّى لنا أنّ تدريس هذه الإستراتيجيّات على المدى القصير هو مجرّد هدفٍ تعليميٍّ يكاد لا يتعدّى عمليّة تنمية إحدى أنماط التفكير لدى التلميذ، ولكنّه يمثّل على المدى الطويل مشروعًا مبدئيًّا لبناء أفرادٍ قد يكون لهم دورًا فعّالًا في عمليّة تطوير مستقبلهم ومجتمعهم من خلال القدرة على إبداع الكثير من الحلول الفريدة لمواجهة المواقف أو المشكلات المتنوّعة التي قد يتعرّضون لها أو يعاني منها المجتمع.

ويمكننا استنتاج في نهاية كلامنا أنّ استعمال هذه الإستراتيجيّات في حلّ المسائل الرياضيّة قد يعمل على تحقيق إحدى الأهداف العامّة المرسومة من مادّة الرياضيّات وهي تنمية حدس التلميذ وقدرته على الإبداع، إذا ما استفدنا من مجال المسائل الرياضيّة كإحدى المجالات الأساسيّة المحفّزة لقدراته الإبداعيّة وتظهر حينها مادّة الرياضيّات كإحدى المواد الدراسيّة المساهمة في تنمية تفكير التلميذ الإبداعي.

قائمة البيبليوغرافيا

1. إبراهيم، شهرزاد. (2015، فبراير). دور المعلّم في تنمية مهارات التفكير لدى تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسيّ. *مجلّة جامعة البحث*، ص. 39 - 68.
2. أبو جادو، صالح محمّد علي. (2004). تطبيقات عمليّة في تنمية التفكير الإبداعي باستخدام نظريّة الحلّ الابتكاري للمشكلات (الطبعة الأولى). عمّان: دار الشروق.
3. بن طراد، زينة. (2017، حزيران). التفكير الإبداعي في ظلّ النظريّة المعرفيّة السلوكيّة. *مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعية*، ص. 11 – 22.

4. جمل، محمّد جهاد. (2008). تنمية مهارات التفكير الإبداعي من خلال المناهج الدراسيّة (الطبعة الثانية). العين: دار الكتاب الجامعيّ.
5. خان، محمّد حمزة. (1989). تقنين اختبار تورانس للتفكير الابتكاري اللّفظي. *مجلّة جامعة أمّ القرى*، ص. 175 - 269.
6. علاونة، شفيق. (1990). نظريّاته وموضوعاته في البحث والتطوّر والممارسة (الطبعة الأولى). الرياض: مكتبة العبيكان.
7. روشكار، ألكسندرو؛ نقله إلى العربيّة غسّان عبد الحيّ أبو فخر. (1990). الإبداع العامّ والخاصّ (الطبعة الأولى). الكويت: عالم المعرفة.
8. سليمان، عبد الرحمن. (2006. المتفوّقون والموهوبون والمبتكرون (الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة.
9. شواهين، خير سليمان. (2010). حلّ المشكلات باستخدام التفكير الإبداعي (الطبعة الأولى). عمّان: دار المسيرة.
10. صبحي، تيسير. (1990). مقدّمة في الموهبة والإبداع (الطبعة الأولى). بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.
11. حسين، طه. (2010). التربية الإبداعيّة: رؤية تربويّة (الطبعة الأولى). القاهرة: دار العلم والإيمان.
12. عاقل، فاخر. (1983). الإبداع وتربيته (الطبعة الثالثة). بيروت: دار العلم للملايين.
13. عبد الكافي، إسماعيل. (2001). الابتكار وتنميته لدى الأطفال (الطبعة الأولى). القاهرة: مكتبة الدار العربيّة.
14. المشرفي، إنشراح. (2005) تعليم التفكير الإبداعي لطفل الروضة (الطبعة الأولى). القاهرة: الدار المصريّة.
15. الملحم، إسماعيل. (2003). التجربة الإبداعيّة: دراسة في سيكولوجية الاتصال والإبداع (الطبعة الأولى). دمشق: منشورات اتّحاد الكتاب العربيّ.
16. المليجي، حلمي. (2000). سيكولوجية الابتكار (الطبعة الخامسة). الإسكندريّة: دار النهضة العربيّة.

Romanization of Arabic Bibliography

- Ibrahim, Scheherazade. (2015, February). dūr al-mʿlwm fī tnmīẗ mhārāt al-tfkīr ldi tlāmīḏ al-ḥlqẗ al-ʾaūli mn al-tʿlīm al-ʾasāsīw [The role of the teacher in developing the thinking skills of the students of the first cycle of basic education]. Research University Journal, p. 39 - 68.
- Abu Jado, Salih Muhammad Ali. (2004). tṭbīqāt ʿmlīwẗ fī tnmīẗ al-tfkīr al-ibdāʿī bāstẖdām nẓrīwẗ al-ḥlw al-ābtkārī llmšklāt [Practical applications in developing creative thinking using the theory of innovative problem solving] (first edition). Amman: Dar Al Shorouk.
- Bin Trad, Zina. (2017, June). Creative thinking in light of behavioral cognitive theory. Journal of Human and Social Sciences, p. 11–22.
- Jamal, Muhammad Jihad. (2008). Developing creative thinking skills through school curricula (second edition). Al-Ain: University Book House.
- Khan, Muhammad Hamza. (1989). Standardizing the Torrance test for verbal creative thinking. Umm Al-Qura University Journal, p. 175 - 269.
- Alawneh, Shafiq. (1990). His theories and topics in research, development and practice (first edition). Riyadh: Obeikan Library.
- Suleiman, Abdul Rahman. (2006. The Outstanding, Gifted, and Innovative (First Edition). Cairo: Anglo Egyptian Bookshop.

- Shawaheen, Khair Suleiman. (2010). Solving Problems Using Creative Thinking (1st ed.). Amman: Al Masirah House.
- Subhi, Tayseer. (1990). Introduction to Giftedness and Creativity (First Edition). Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing.
- Hussein, Taha. (2010). Creative education: an educational vision (first edition). Cairo: House of Knowledge and Faith.
- Akil, Fakheer. (1983). Creativity and its upbringing (third ed.). Beirut: House of Knowledge for Millions.
- Abdel Kafi, Ismail. (2001). Innovation and its development in children (first edition). Cairo: Arab House Bookshop.
- Al-Mashrafi, Inshirah. (2005) Teaching Kindergarten Child Creative Thinking (First Edition). Cairo: The Egyptian House.
- Melhem, Ismail. (2003). al-tǧrbẗ al-ibdāʿīwẗ: drāsẗ fī sīkūlūǧīẗ al-ātṣāl wālibdāʿ [The Creative Experience: A Study in the Psychology of Communication and Creativity] (First Edition). Damascus: Publications of the Arab Book Union.
- El-Meligy, Helmy. (2000). sīkūlūǧīẗ al-ābtkār [The Psychology of Innovation] (5th ed.). Alexandria: Arab Renaissance House.